التسامح الديني في عــدن

د. حامد عبد القادر أحمد بافقيه
قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة عدن

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة ما إذا كان هناك تسامح ديني في عدن، ومدى أهمية التسامح الديني في خلق مجتمعات أكثر تقدماً عن غيرها من المجتمعات التي لا تؤمن بوجود الحوار والتسامح الديني، وذلك من خلال استقراء ما جاء في الكتب السماوية، ثم الكتب الدينية التي ألفها أصحاب الديانات الموجودة آنذاك في مجتمع عدن موطن الدراسة التي تصف حياتهم الدينية والاجتماعية.

أظهرت الدراسة عدداً من النتائج المهمة التي تؤكد أن المجتمع لا يمكن أن يتقدم ويتطور إلا من خلال وجود التسامح الديني بين مختلف الديانات في المجتمع الواحد. ومن هذه النتائج:

- أن مدينة عدن تميزت بوجود تسامح ديني منذ القدم.
- أن التسامح الديني مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة دون استثناء.
- أن التسامح الديني يتطلّب الاحترام المتبادل ويقتضي التخلّي عن الأساليب الإقصَائية.
- يخلق التسامح الديني مجتمعاً مدنياً أكثر تطوراً وتقدماً.
- أن التسامح يستوجب الاحترام المتبادل، ويستلزم التقدير المشترك، ويدعو إلى أن تتعارف الشعوب وتتقارب.
- أن للتسامح الديني قيمة تتمثّل في كونه يقتضي التسليم المطلق اعتقاداً وسلوكاً وممارسة – بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فلأولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حُرمته فلأولئك دين له الحُرمة نفسها.

الكلمات المفتاحية: التسامح الديني، عدن، الإسلام، اليهودية، المسيحية.

1- المقدمة:

إن عنوان البحث التسامح الديني في عدن يتناول الدين الإسلامي وتعايشه أو علاقته بالأديان الأخرى، والدين الإسلامي هو آخر الديانات السماوية وهو الدين الذي أوحى به اللّه سبحانه وتعالى إلى نبيه ورسوله محمد صلى اللّه وعليه وسلم. إذ أنزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل فهو رسالة السماء الخاتمة الجامعة لما فيه الخير والصلاح للإنسان في دنياه وأخراه. وقد أكدت الرسالة الإسلامية الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم. وحدة إنسانية تدعو إلى التآلف بالتعارف وترك التعادي بالتحالف،إذن التسامح هو المحور الرئيس للقضية المهمة موضوع البحث.

إن أغلبية سكان عدن من المسلمين وعلاقاتهم بغير المسلمين نابعة من تعاليم ديننا الإسلامي الذي ينادي بالتسامح والعفو من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث رسولنا سيدنا محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - التي تدعو إلى التسامح بين الأديان وخلق جو يتميز بآلفة وينبذ العصبية والتفرقة.

وبحكم موقع عدن المتميز على خط الملاحة الدولية وكونها محطة تجارية، وجدت فيها أقوام مختلفة من يهود وفرس وهنود (هندوس) وإنجليز؛ إذ قامت هذه الأقوام بتشييد دور العبادة لممارسة شعائرهم الدينية من معابد لليهود والفرس والهندوس وكنائس للرعايا المسيحيين الذين عاشوا سابقاً في عدن، إلى جانب أهل عدن المعتنقين

الدين الإسلامي الذين شيدوا العديد من المساجد والمدارس والزوايا وعاشوا جميعا في جو من التسامح الديني.

1.1- أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى:

إثبات هل هناك وجود لتسامح ديني في عدن؟ وما مدى انعكاسه على العلاقة بين أفراد المجتمع بغض النظر عن العقيدة الدينية التي يعتنقها الفرد في المجتمع؟ وهل للتسامح الديني دور ذو أهمية في تقدم المجتمع وتطوره وفرض الديمقراطية ونبذُ العصبية؟

2.1- منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي من خلال المصادر والمراجع.

2- جغرافية عدن وتاريخها:

عدن ثغر اليمن وبوابته الجنوبية، تقع على ساحل البحر العربي (خليج عدن) بالقرب من باب المندب – المدخل الرئيس للبحر الأحمر – عند نقطة التقاء قارة آسيا قارة أفريقيا، على خط طول (45.3) درجة شرقا وخط عرض (12.47) درجة شمالا في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا.وحسب التقسيم الإداري للجمهورية اليمنية اليوم فان محافظة عدن (العاصمة الاقتصادية والتجارية للجمهورية) يحدها من الشمال محافظة لحج، ومن الشرق محافظة أبين، ومن الجنوب خليج عدن، ومن الغرب البحر الأحمر.[1]

تتميز مدينة عدن بموقع وسط بين الشرق والغرب، مما اكسب ميناءها موقعاً مهماً على الطريق البحري بين الهند وأوروبا، كما يقرب ميناؤها من خط الملاحة الدولي بمسافة 4أميال بحرية إلى مركز إرشاد السفن، وقد حاول الحكام السيطرة عليه في أوقات مختلفة من التاريخ؛ كما أن موقعها في الوسط على خط الملاحة الدولي دفع الكثير من تجار الشرق والغرب إلى المرور عبر عدن، وكان ذلك في القرن الأول الميلادي.فمنهم من فضل البقاء فيها لممارسة التجارة، ولذلك طمعت القوى الاستعمارية في احتلال عدن نتيجة لموقعها الاستراتيجي الهام مما أوجد أجناساً مختلفة ذات ديانات مختلفة، منهم أهل الذمة وهم اليهود والمسيحيون والمسلمون وهي ديانات أصحاب كتاب، وأخرى هم من غير أهل الذمة وهم الهندوس والمجوس، إذ وجدت هذه الديانات المختلفة في عدن وعاشت في تسامح ديني.

وبهذا تعدّ عدن من أجمل المدن اليمنية الساحلية التي تمتاز بشواطئها البديعة المتنوعة، ومبانيها الضخمة العريقة، وقلاعها وحصونها المنيعة وأسواقها المتعددة قد حازت شهرة دولية كمركز للتجارة البحرية منذ قبل الميلاد.

خضعت عدن للحكم القتباني في نهاية القرن السابع قبل الميلاد مثل ما جاء في النقش (RES 3943)، إذ احتلت الأراضي التي استولت عليها سبأ من أوسان حسب ما ذكر في نقش النصر (RES 3945) العائد إلى القرن السابع ق.م.[2]

من المعروف أن (أب كرب أسعد) هو (أسعد الكامل) أو (أسعد تبع) في المصادر العربية وهو أول من تهود من التبابعة ونشر اليهودية في اليمن، ولكن توجد كتابات بالمسند تم تدوينها بعد هذا التاريخ، تؤكد إن من جاء بعد (أب كرب أسعد) كانوا نصارى ولم يكونوا يهوداً. إذ يمكننا القول عن الوضع الديني إن الديانتين اليهودية والمسيحية أخذتا منذ النصف الثاني للقرن الرابع الميلادي تتغلغلان بالتدريج في أنحاء الجزيرة العربية وتبلغان اليمن وهذا كان مقرونا بالتنافس بين الرومان والفرس[3]

وفي رأي الباحث أن (أب كرب أسعد) أو (أسعد الكامل) ليس هو أول من أدخل الديانة اليهودية إلى اليمن وإنما تم إدخالها من قبل ملكة سبأ التي آمنت بسليمان عليه السلام مثلما جاءت قصتها في القرآن الكريم في سورة النمل، وبهذا استطاعت من خلال موقعها في السلطة أن تنشر اليهودية بين أوساط المجتمع اليمني.

وفي عام 330م أصبحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية فاستطاعت من خلال حليفتها (أكسوم) في إدخال المسيحية إلى اليمن، فارسل القيصر (قسطنطين الثاني 350- 361م) (ثيوفيلوس) (Theophilos) إلى اليمن لإقناع ملك حمير بالدخول في النصرانية، فأنشأ ثيوفيلوس كنيسة في عدن وغيرها من مناطق اليمن وذلك في حوالى عام 354م . ففي هذه الفترة استعادت عدن مركزها التجاري كسوق عالمية يلتقي فيها تجار الشرق بتجار الغرب.[4]

وذكر في نقش أبرهة (CIH 541) العائد إلى القرن السادس الميلادي" رحمن وبنهو كرشتش غلبن" أي " الرحمن وابنه المسيح {كرشتش} الغالب".[5]

تم القضاء على الأحباش من قبل (معدي كرب بن أبي مرة) المشهور بـ (سيف بن ذي يزن) بمساعدة الفرس، إذ استطاع (كسرى أنو شروان) التغلب على الروم حلفاء الأحباش في عام 576 م ووجه نظره تجاه عدن واحتلها.[6]

اعتنق أهل عدن الديانة الإسلامية طواعية، وشيدت فيها المساجد مثل غيرها من مناطق اليمن، ففي عهد الخلفاء الراشدين التي تروي بعض من ملامح العمارة الإسلامية الأصيلة في عدن كمسجد أبان الذي بناه ابن الخليفة الثالث أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه). وتعاقبت على احتلال عدن العديد من الدويلات الإسلامية حتى الاحتلال العثماني الأول والثاني ومن ثم الاحتلال البريطاني وأخيرا الاستقلال في عام 1967. وقيام الوحدة اليمنية في عام 1990م.

3- التسامح الديني في عدن:

1.3- تعريف التسامح:

جاء في اللسان في مادة (سَمَحَ) السَّماحُ والسَّماحةُ: الجُودُ.

سَمُحَ سَماحَةً وسُمُوحةً وسَماحاً: جاد؛ ورجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحة من رجال ونساء سِماح وسُمَحاء فيهما، حكى الأخيرة الفارسي عن أحمد بن يحيى. ورجل سَمِيحٌ ومِسْمَح ومِسْماحٌ: سَمْح؛ ورجال مَسامِيحُ ونساء مَسامِيحُ؛

وفي الحديث: يقول الله عز وجل: أسْمِحُوا لعبدي كإسماحه إلى عبادي؛ الإسماح: لغة في السَّماح؛يقال: سَمَحَ وأسْمَحَ إذا جاد وأعطى عن كَرَمٍ وسَخاءٍ؛ وقيل: إنما يقال في السَّخاء سَمَح، وأما أسْمَح فإنما يقال في المتابعة والانقياد؛ ويقال: أسْمَحَتْ نَفْسُه إذا انقادت، والصحيح الأول؛ وسَمَح لي فلان أي أعطاني؛ وسَمَح لي بذلك يَسْمَحُ سَماحة. والمُسامَحة: المُساهَلة. وتَسامحوا: تَساهَلوا.

وفي الحديث المشهور: السَّماحُ رَباحُ أي المُساهلة في الأشياء تُرْبِحُ صاحبَها.

ويقال: أسْمَحَتْ قرينتُه إذا ذلَّ واستقام، وسَمَحَتِ الناقة إذا انقادت فأسرعت، وأسْمَحَتْ قَرُونَتُه وسامحت كذلك أي ذلت نفسه وتابعت. ويقال: فلانٌ سَمِيحُ لَمِيحُ وسَمْحُ لَمْحُ.[7]

التسامح أو العفو كلمة دارجة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية أو الفردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء؛ والتسامح هو نقيض التعصب والتشدد؛ ويقصد بالتسامح والتعايش بين الأديان ممارسة الشعائر الدينية بحرية والتخلي عن التعصب الديني والتمييز العنصري.

وقد اعتمدت مبادئ التسامح في المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر1995م. ووضحت كلمة التساهل بأنها لا تعني التنازل، فقد جاء في الفقرة الثانية من المادة الأولى التي توضح معنى التسامح: " إن التسامح لا يعني المساواة أو التنازل أو التساهل، بل التسامح هو قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالميا. ولا يجوز بأي حال الاحتجاج بالتسامح لتبرير المساس بهذه القيم الأساسية، والتسامح ممارسة ينبغي أن يأخذ بها الأفراد والجماعات والدول".[8]

كما يوضح مؤتمر اليونسكو كيف تتم عملية ممارسة التسامح وذلك حسب ما جاء في الفقرة الرابعة من المادة الأولى : " ولا تتعارض ممارسة التسامح واحترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها، بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم؛ والتسامح يعني الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحق في العيش بسلام وفي أن يطابق مظهرهم مخبرهم، وهي تعني أيضا أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض علي الغير".[9]

إذن كان المقصود بالتسامح الديني هو التعايش بين الأديان بمعنى ممارسة الشعائر الدينية والتخلي عن التعصب الديني والتمييز العنصري؛ فالديانات التي ينتمي إليها أهل الذمة هي ديانات سماوية فهي لا تأمر إلاّ بالخير والحق والصلاح ولا تدعو إلاّ إلى البرّ والحب والرحمة والإحسان، ولا توصي إلاّ بالأمن والسلم والسلام، وما كانت يوماً في حدٍّ ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح والتّثاقف والتعايش والتعارف والحوار، وإنما العائق يكمن في الذين يتوهّمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويستغلّون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم، تلك المهمة التي أبَى الله تعالى أن يمنحها لأنبيائه الأخيار.[10]

أذن تتمثل قيمة التسامح الديني في كونه يُقرّ الاختلاف ويقبل التنوّع ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميز الأفراد من معطيات نفسية ووجدانية وعقلية ومخيال، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية امتزج فيها قديم ماضيه بجديد حاضره ورؤية مستقبله، هي سبب وجوده وسرّ بقائه وعنوان هويته ومَبعث اعتزازه.

وتقتضي قيمة التسامح الديني في المساواة في الحقوق أي التسليم المطلق –اعتقادا وسلوكاً وممارسة – بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فلأولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حُرمته فلأولئك دين له الحُرمة نفسها، وإذا كان لهؤلاء خُصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فلأولئك خُصوصية ثقافية لا تقبل المَسّ أبداً.

ونجد في ديننا الإسلامي الذي هو دينا عالميا يتجه برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهي عن الظلم وترسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم. وبهذا يعني الحوار التسامح واحترام حرية الآخرين والهدف الأساس من الحوار بدرجة أساسية هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون المثمر الذي يعود على جميع الأطراف بالخير والمنفعة. وبهذا نجد أن لدعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان صدى كبير مهم، إذ إن للأديان دوراً مهماً من جهة تأثيرها الكبير والعميق في النفوس. وبهذا يعدّ الدين الإسلامي أول دين يوجه دعوة واضحة وصريحة مثل ماجاء في قوله تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }[11]

ونجد ديننا الإسلامي يرسم لنا من خلال القرآن الكريم منهج الحوار بين الأديان من أجل اتباعه في مثل هذا الحوار حسب ما جاء في قوله تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[12]

لقد تجسدت في عدن (كريتر) هذه المبادئ التي دعا إليها ديننا الإسلامي الحنيف في عملية التعايش واستخدام التسامح بين الأديان التي تضمها عدن بين جنباتها ومع صغر حجمها من إذ المساحة فقد تجاورت فيها دور عبادة مختلفة لأديان منها لأهل الذمه وهم أهل الكتاب (الإسلام – اليهودية – المسيحية)، وغير أهل الذمة وهم (الهندوس – المجوس) تعايشوا في في جو يسوده التسامح الديني من إذ أن كلا منهم يمارس شعائره الدينية بحرية تامة دون المساس بالأخر. إذ نجد في عدن، بلد الإيمان، تتعانق المآذن وتتجاور المساجد والكنائس مثل ما هي الحال في مسجد أبان في كريتر الذي يوجد أمامه كنيسة البادري، وهناك كنائس أخرى، فعندما احتلت بريطانيا عدن عام 1839 م قامت بإنشاء العديد من الكنائس في عدن والمناطق التابعة لها وذلك من أجل تأدية رعاياها وجنودها طقوسهم الدينية وعددها ست كنائس منها كالثيوليكية وبروستانية موزعة على محافظة عدن، ففي منطقة كريتر (عدن) كنيستان كنيسة البادري، وكنيسة أخرى هي موقع البحث الجنائي حاليا؛ وكنيسة في منطقة حافون بالمعلا وكنيستان في منطقة التواهي، وفي منطقة صلاح الدين بالبريقة كنيسة، وهذه الكنائس لغرض ممارسة الرعايا الإنجليز شعائرهم الدينية.

أما المعابد الهندوسية فتتوزع في أحياء عدن بكريتر وأهمها: معبد هنجراج ماتاجي في الخساف ومعبد هاتومان في طريق غاندي ومعبد مايشناق شرينا بشارع حسن علي.

وكان يوجد في عدن من ستة إلى عشرة معابد لليهود، أما المعبد الرئيس اسمه (ماجن أبراهام) كان من أروع المعابد في العالم وأفخمها، كان يستوعب ألفاً من الناس، وأما مكتبته الدينية التي لها زاوية في المعبد وتسمى عادة (تابوت العهد الذي يحوي شريعة موسى) فتحتوي على 270 من أسفار التوراة، وقد بني هذا المعبد على وفق تصميم لمعبد آخر كنموذج أصغر منه في الهند، وكان بناؤه حول بقايا معبد آخر سابق يعود تاريخه إلى عام 1856م.[13] إضافة إلى ما سبق، يوجد في كريتر دور عبادة للفرس يطلقون عليها اسم برج، ولهم برجان برج الهواء وهو معبد يقع بجانب الصهاريج تقام فيه العبادة، وبرج النار أو برج الصمت المشيد على الهضبة وهو مخصص لإتمام طقوس الموتى، وقد شيدت هذه الأبراج في القرن التاسع عشر الميلادي تقريبا عام 1866م. وهناك دور للعبادة تخص معتنقي الديانة المسيحية تتوزع في المناطق الأخرى من مدينة عدن متجاورة مع المساجد الإسلامية. وهذا يبرهن للعالم أن أهل عدن واليمنيين شعب يتصف بالتسامح وأنهم أصحاب رسالة إنسانية منفتحة غير منغلقة، ورسالة حضارية غير متخلفة، وأنهم ذوو أخلاق سامية سمحة غير جامدة ولا متسلطة ولا متعالية.

2.3- التسامح الديني قبل الإسلام:

الإنسان اليمني قبل اعتناقه هذه الديانات السماوية من فترة ربما تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد أو قبله عبد آلهة مختلفة اتخذها من الكواكب السماوية، فهذه المجتمعات كانت تعيش في جو من التسامح الديني إذ إن مدنهم قديما تحتوي على عدد من دور العبادة وهي المعابد التي تتم فيها طقوسهم الدينية مثل مدينة ريبون بوادي دوعن بحضرموت وجد فيها العديد من المعابد لآلهة مختلفة، وفي بعض الأحيان نجد

المعبد الواحد يحتوي على أكثر من آلهة، فمثلا في معبد روين (روي ن) كرس لعبادة الإله عم والإلهة ذات رحبان كما جاء في النقش59 RES 4329/3 = CSAI I، الذي عثر عليه في مدينة حنو الزرير، من عهد الملك القتباني وروإل غيلان يهنعم في القرن الأول الميلادي.

3- ب ن/م ث ب م/ث و ب و/ل أ ل س م/ع م/ذ ري م ت م/ وذت/رح ب ن/ وأل

4- هـ و/ب ي ت ن/ روي ن/ وب رد أ / وت ح رج/م رأ س م/وروإ ل/ غ ي ل ن [14]

يسجل أصحاب النقش تقديم الإهداء لإلاههم عم ذو ريمتم وذات رحبان وآلهة المعبد روين وبنعمة وسلطة أو قيادة سيدهم وروإل غيلان، وورود (الإله عم ذو ريمتم والإلهة ذات رحبان وآلهة المعبد روين) يشير إلى أن المعبد كان مشتركاً كرس لعبادتهما معاً ويتقبلان فيه التقدمات والنذور،، بدليل ورود ا ل هـ و التي تشير إلى وجود أكثر من إله للمعبد.

أما معبد أحرم (أ ح ر م) الذي خصص لعبادة الإلهين عم ريعان وسَحرم فقد جاء ذكره في النقش - الذي يمثل نصاً قانونيا - RES 3566/8= CSAI I, 208، الذي نقش على البوابة الجنوبية لمدينة تمنع، ويؤرخ إلى عهد الملك شهر يجل يهرجب بن هوف عم الذي حكم بين نهاية القرن 1ق.م وبداية القرن 1م:

8- ذ ب ن / ش ع ب ن / ق ت ب ن / م سَ ود ن / وط ب ن ن / وذ م / ك و ن / ك و ن س م / ب ن / ذ أ س ر رن / وذ ب رم / ب أ ي / وس ط / أ ح رم / ب ي ت / ع م/ ري ع ن / و سَ ح رم / ب ت م ن ع [15]

ومعناه: ومن قبائل قتبان والمسود (مجلس سادة قتبان) وطبنن (مجلس ملاك الأراضي) والذي يحظون بالمنزلة نفسها من الوادي ذو برم في وسط أو داخل أحرم (معبد) عم ريعان وسَحرم في تمنع.

يبين النقش أن المعبد المسمى (أحرم) كان معبداً مشتركاً كرس لعبادة الإلهين عم ريعان وسَحرم، وأنه يقع في مدينة تمنع إلا أن مكانه فيها غير معروف، كما يوضح أنه حظي بمنزلة مهمة، وكان يتم فيه اجتماعات مجلس سادة قتبان ومجلس ملاك الأراضي، ومع ذلك لم يرد في نقوش أخرى.

فالتسامح إذن من صفات المجتمع اليمني قبل ظهور الديانات السماوية ومن خلال التسامح الديني يمكننا القول بأنه يُعدّ أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، فالتعدّدية والديمقراطية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان وتقدير المواثيق الوطنية واحترام سيادة القانون، خيارات إستراتيجية وقيم إنسانية ناجزه لا تقبل التراجع ولا التفريط ولا المساومة، فالتسامح – إذن – عامل فاعل في بناء المجتمع المدني، ومشجّع على تفعيل قواعده، وعدن مدينة تنطبق عليها هذه الصفة بأنها مجتمع متمدن.

2.4- التسامح في نظر الإسلام:

الإسلام هو دين عالمي يتجه برسالته إلى البشرية كلها، فهي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وترسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الايجابي بين البشر جميعا في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم فالجميع ينحدرون من "نفس واحدة" كما جاء في القرآن الكريم { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ } [16]

ويعلَم الإسلام أتباعه التسامح الشامل الذي يعد شرطا ضروريا من شروط السلام للمجتمع الإنساني، ويطلب منهم السلوك العادل الذي يحترم ثقافة الآخرين وعقيدتهم

وخصوصياتهم الحضارية، ويمكن أن نسمي هذا بالتسامح الايجابي كما في قوله تعالى:{ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[17] .

ومن الأمثلة عن التسامح والعفو في القرآن الكريم:

قال تعالى: { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[18]

قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ }[19]

قال تعالى: { خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ}[20].

قال تعالى: { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}[21] .

قال تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[22]

قال تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[23] .

3.3- التسامح في نظر المسيحية:

- " فإنهُ إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم"[24]

- " إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضا أبوكم الذي في السموات زلاتكم"[25]

- " محتملين بعضكم بعضاً إن كان لأحد على أحد شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضا"[26]

- "وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضا في المسيح"[27]

هذه نصوص مأخوذة من الإنجيل (الكتاب المقدس) وهي بدورها تتضمّن مبادئ التسامح في أجْلى صوره، بل إنه تسامح يبدو أحياناً فوق الطاقة، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة ولا غرابة في ذلك، لأن الربّ واحد ومشرّع القيم السمحة واحد ، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان.

4.3- التسامح في نظر اليهودية:

تدعو الديانة اليهودية مثلها مثل الديانتين الإسلامية والمسيحية إلى التسامح، إذ توجد عدد من الوصايا منها:

" كل ما تكره أن يفعله غيرك بك فاياك أن تفعله أنت بغيرك"[28]

" اغتسلوا وتطهروا وازيلوا شر أفكاركم (...) وكفوا عن الإساءة وتعلموا الاحسان والتمسوا الانصاف"[29]

إذن، التسامح الديني مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة، وكيف لا تدعو إليه وقد أرادته الحكمة الإلهية واقتضته الفِطرة الإنسانية واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية وحتّمته وما تحتاج إليه من قِيَم حضارية ومَدنية نبيلة. ولكن هل معتنقو هذه الأديان مارسوا التسامح الديني؟

إذا تتبعنا التسامح المتين عند المسلمين من خلال أكبر الأدلة على قيام الحضارة الإسلامية على أساس التعايش بين المسلمين مع أهل الديانات والملل والعقائد في البلدان التي فتحوها وذلك من خلال استقرائنا للشواهد التاريخية سنجد كثيراً من الأمثلة الحية على التعايش الإسلامي مع أهل الأديان جميعاً السماوية وغير السماوية وفي الحال نفسه لانجد أي مظهر من مظاهر التسامح في أقل مستوياته لدى غير المسلمين. وأن من

مظاهر التعايش والتسامح الذي ساد الحضارة الإسلامية عبر العصور (وعدن دولة ذات عقيدة إسلامية) نجد الإسلام يعدّ اليهود والنصارى أهل ديانة سماوية (وإن لم يكن هذا الاعتبار متبادل) ومن هذا المبدأ نتتبع رؤية الإسلام إلى التعامل مع غير المسلمين، وبهذا لا تكتمل عقيدة المسلم إلا إذا آمن بالرسل جميعاً لا يفرق بين أحد منهم هذا هو البعد الإنساني الذي يعطي التسامح في الإسلام مساحات واسعة.

4- الدلائل على التسامح الديني في عدن:

عرفت عدن واليمن بشكل عام قبل مجيء الإسلام الديانة اليهودية ثم الديانة المسيحية ولكن نجد الديانة اليهودية تم اعتناقها من قبل أهل البلاد بعكس الديانة المسيحية التي ارتبطت بالاحتلال الأجنبي سواءاً كان الحبشي الأول أم الثاني، والاحتلال البريطاني الذي دام مائة وتسعة وعشرين عاماً وحركتهما التبشيرية الواسعة إلا أن الديانة المسيحية لم يكن لها كثير من الأنصار سوى بعض العائلات نظرا لارتباطها بالغزاة الأجانب.بعكس الديانة اليهودية التي كانت في السابق دين الدولة الرسمي للدولة اليمنية القديمة وإضافة إلى هذا أن يهود اليمن يمنيون في الأصل، وليس يهودا قادمين من خارج منطقة عدن مثل حال المسيحيين والفرس. وأن اليهود في عدن واليمن يتكلمون اللغة العربية. وبهذا فمن خلال الحقائق التاريخية والواقع الاجتماعي التي تؤكد أن يهود اليمن من أقدم يهود العالم وانهم كانوا موجودين في اليمن من قبل عام 586ق.م.[30]

أما بالنسبة للديانة الفارسية (الزرادشتية) حالها مثل حال الديانة المسيحية لأنها ارتبطت بالاحتلال واتخاذ صبغة سياسة أكثر منها دينية، وإضافة إلى ما سبق نجد الديانة الفارسية ليس توحيدية.

يمكننا التعرف فيما إذا كان في عدن تسامح ديني مثلما دعت إليه الديانات السماوية كافة من يهودية ومسيحية وإسلام يمكننا استعراضه من خلال ما كتبه أصحاب الديانات الأخرى غير أهل عدن معتنقي الديانة الإسلامية:

لقد سجل نيبور في رحلته إلى اليمن انطباعاً رائعاً عن تسامح اليمنيين قائلاً: "ويبرز تسامح المسلمين مع من اعتنق الإسلام في عدم منعهم من الاستمرار في التعامل والاحتكاك بأتباع دينه السابق، كما أنهم لا يحولون بينه وبين مغادرة اليمن متى أراد ذلك، ولو كان في صحبة أتباع دينه السابق. وإذا تزوج مسلم من مسيحية أو يهودية، فإنه يحترم عقيدتها، ولا يحاول أن يجبرها على التنكر لدينها. ويمارس اليهود حياتهم وطقوسهم الدينية، ويشيدون معابدهم بكل حرية، كما يمارس الهنود طقوسهم الدينية، ولكن لا يسمح لهم بحرق موتاهم"[31]

وبهذا نجد أن اليهود قد عاشوا في بلادهم اليمن وبخاصة عدن بنوع من الاستقرار، إذ أكد أحد قادة الاحتلال البريطاني لعدن قائلا: " إن يهود عدن كانوا يتمتعون بقدر كبير من الأمان أكثر مما تمتعوا به في أوساط أوروبية، وكانوا يعملون في الحرف اليدوية والصياغة ... وإن أحياهم غير بعيدة عن الأحياء العربية وهم يعيشون بسلام مع جيرانهم العرب، ولا يتدخل في أمورهم أحد ، كما لا يتدخلون في المنازعات القبلية ويمكنهم أن يمتلكون الأراضي.[32]

يمكننا أن نستسقى من خلال كتاب (THE JEWS OF ADEN) وهو كتاب أخرجه وأصدره فريق مشترك من متحف وناد ثقافي بلندن..في أبريل 1991 والمتحف هو متحف لندني يعنى بحياة اليهود وتاريخهم .London Museum of Jewish Life ما يأتي :

يقول أحد يهود عدن في ذكرياته عن عدن: " لقد كانت عدن عالماً مختلفاً، عالماً خاصاً بهذا القرن الأخير (العشرين) ولكن في الجانب الآخر عاش الناس في عدن حياة رغدة طيبة؛ بالرغم من أن بعض الناس كانوا فقراء جداً، إلا أنهم عاشوا في راحة، الطعام كان دائماً متوفراً ورخيصاً، الطقس كان جميلاً، لقد كانت حياتنا رائعة ممتعة ومدهشة، ونحن ما زلنا نتذكر عدن، نظراً للحياة الطيبة التي عشناها هناك" (33)

أما من ناحية الحياة الدينية فقد كان اليهود يمارسون شعائرهم الدينية بحرية تامة دون مضايقات من أهل عدن، ويقول أحدهم واصفاً الحياة الدينية اليهودية في عدن: " لقد كان مجتمعاً أكثر تقارباً ومودة، كان مجتمعاً دينياً حقيقياً، كنا نحاول ألا نعمل شيئاً ملفتاً بارزاً يشعر به الجيران، كان عليك ألا تبدو شاذاً مختلفاً عنهم، كنا نشعر بالخجل والاستحياء أن نظهر مختلفين عنهم. كنا مجتمعاً غير حر إلى حد ما، إلا أننا كنا مترابطين فيما بيننا، وإذا مات أحد منا اهتز لأجله الجميع"..كان الدين هو المبدأ الرئيس لوجود الجماعة اليهودية في عدن، وقد عاش الجميع في طقوسهم وشعائرهم الدينية بالكامل.و كان (بيت دين) يشكل أقوى هيئة في المجتمع، فيه كان (الشاخط) أي الذباح الديني اليهودي يذبح البهائم لتأمين أن أكلها مباح حسب الطريقة والشريعة اليهودية، أما الدراسة الدينية فكانت جزءاً مهماً كاملاً من حياة كل طفل. (34)

وفي صدد الأعياد الدينية والمناسبات اليهودية يقول أحدهم: "أما العرب فإنهم لما كانوا يعرفون بحلول مناسبة (البيساخ) فإنهم يجلبون لنا كل شيء كهدايا، وبمجرد علم العرب بحلول (عيد السكوت) كانوا يقدمون لنا ما نسميه بالعبرية (الأتراج) و(اللولافيم) وكل شيء"(35).

وختاما هذا قول وشهادة ممزوجة بالتاريخ والعاطفة والصدق والمعاناة لمفارقة عدن إذ يقول شاهد:

"إذا كنت استطيع العودة، سأفعل بكل ممنونية وطيب خاطر، إنني أتذكر الأشياء الجميلة فقط في عدن، طفولتي وأيام الدراسة وكل شيء." في الكتاب المقدس عندما خرج اليهود من مصر وعاشوا في البرية، كانوا دائماً يحنون إلى مصر، وذلك بالرغم من أنهم كانوا عبيداً هنا، فقد كانت لهم اللقمة الهنيئة، والطعام الجيد الذي تعودوا عليه، وينطبق هذا الشيء نفسه على عدن معنا نحن العدنيين اليهود، نحن دائماً نشعر بأن عدن هي أجمل أيام حياتنا، وكل منا يتذكر عدن، عاشها أو ولد فيها، فسيظل يقول دائماً، لا يوجد مكان في الدنيا مثل عدن!...". (36)

أما معتنقو الديانة المسيحية كانوا موجودين في الفترات التاريخية من تاريخ عدن، وهي فترة وجود الاستعمار البريطاني في عدن أي فترة الاحتلال، ومنذ عام 1967 لم تتم أي طقوس مسيحية حتى عام 1995 الذي تم فيه إعادة تأهيل كنيسة رأس مربط في التواهي وتتم فيها الطقوس المسيحية ويوجد في هذه الكنيسة أو ملحق بها مستشفى تخصصية في مجال العيون والأمومة والطفولة، إلى جانب منزل في مديرية خورمكسر يزاول فيها المسيحيون الأثيوبيون صلاتهم.

وأما يخص المجوس وهم الفرس فقد كانوا يمارسون طقوسهم الدينية الوثنية في معبدهم في كريتر حتى تحقيق الوحدة اليمنية فقد تحول مكان معبدهم إلى مسجد يحمل اسم سليمان الفارس، ولهم مقبرة فوق الهضبة.

مارس الهندوس طقوسهم الدينية وهي ديانة وثنية في معبدهم الكائن في منطقة الخساف في كريتر بحرية تامة.

5- **النتائج:**

توصل الباحث إلى بعض النتائج من بحثه التسامح الديني في عدن وهي كالآتي:

- تميزت مدينة عدن بوجود تسامح ديني منذ القدم.
- أن التسامح الديني مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة دون استثناء.
- أن التسامح الديني يتطلّب الاحترام المتبادل ويقتضي التخلّي عن الأساليب الإقصَائية.
- يخلق التسامح الديني مجتمعا مدنياً أكثر تطوراً وتقدماً.
- أن التسامح يستوجب الاحترام المتبادل، ويستلزم التقدير المشترك، ويدعو إلى أن تتعارف الشعوب وتتقارب.
- أن للتسامح الديني قيمة تتمثّل في كونه يقتضي التسليم المطلق اعتقادا وسلوكاً وممارسة بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فلأولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حُرمته فلأولئك دين له الحُرمة نفسها.

خريطة توضح موقع عدن الجغرافي

الهوامش:

1) شهاب، حسن صالح: عدن فرضة اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990. ص 17 – 19.

2) Répertoire d`Epigraphie Sémitique publie par la Commission du Corpus Inscriptionum Semiticarum.t. VI, p. 405.and Ibid., t. VII, p. 393

3) بافقيه، محمد عبد القادر: تاريخ اليمن القديم، مؤسسة الصبان، بيروت، 1985، ص 151.

4) بيوتروفسكي، م.ب: اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة" القرن الرابع حتى العاشر الميلادي" تعريب محمد العيبي، دار العودة، بيروت، 1987، ص ص 242- 243

5) Corpus Inscriptionum Semiticarum.Pars quarta . Inscriptiones himyarticas et sabaeas continens , t. II. p. 278 .

6) بافقيه، محمد عبد القادر: تاريخ اليمن قبل الإسلام، مختارات النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985 ، ص 65.

7) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب (مادة سمح)، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 319 – 320

8) المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر1995م.حول مباديء التسامح،المادة الأولى: الفقرة الثانية.

9) المرجع السابق. المادة الأولى: الفقرة الرابعة.

10) عيدان، عقيل يوسف:التسامح الديني في الإسلام، مجلة النبأ، مجلة شهرية ثقافية، العدد 81 ، مارس، 2006 .

11) القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية 64.

12) المصدر السابق: سورة العنكبوت، الآية 46 .

13(London Museum of Jewish Life and KADIMAH YOUTH MOVEMENT: THE JEWS OF ADEN,LONDON,1991,P15.

Ryckmans, G, Inscriptions Sud- Arabes, 9 série, Le Meséon, Tome. (14 64, Paris, 1951, p.125-126; CSAI, 2004, p. 93-93

Corpus of South Arabian Inscriptions I-III, Qatabanic, Marginal (15 Qatabanic, Awsanit Inscriptions, (CSAI), (Arabia Antica 2), Pisa, 2004. p.293=294.

16) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية1.

17) المصدر السابق: سورة الممتحنه، الآية 8.

18) المصدر السابق: سورة آل عمران، الآية 130.

19) المصدر السابق: سورة آل عمران، الآية 159.

20) المصدر السابق: سورة الأعراف، الآية 99.

21) المصدر السابق: سورة النور، الآية 22.

22) المصدر السابق: سورة العنكبوت، الآية 46.

23) المصدر السابق: سورة فصلت، الآية 34.

24) الكتاب المقدس: العهد الجديد ، إنجيل متى، الإصحاح 6: الآيات 14 – 15.

25) المصدر السابق: العهد الجديد ، إنجيل مرقس، الإصحاح 11، الآية 25.

26) المصدر السابق: العهد الجديد ، إنجيل بولس إلى أهل كولوسي، الأصحاح3. الآية13.

27) المصدر السابق: العهد الجديد ، رسالة بولس إلى أهل أسس، الأصحاح 4. الآية 32.

28) الكتاب المقدّس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد - (العهد القديم). بعناية: الأب باسيليوس كناكري. ص 135.

29) المصدر السابق: ص 139.

30) الشامي، عباس علي: يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها، ط2. سلسلة كتاب المسيرة اليمانية، 1988. ص 33.
31) الصايدي، أحمد قايد: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر سوريا، د،ت، ص 208.
32) مرجع سابق: يهود اليمن، ص 26.
33) THE JEWS OF ADEN,LONDON , P 10.
34) Id., ibid.,p. 15
35) Id., ibid.,p20.
36) Id., ibid.,p 45.